الباب الثالث

عصر سيطرة الاتـــراك

٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ ـ ٩٤٥ م

مقدمـــــة :

ان الدور العباسي الثاني هو الدور الذي برزت فيه العناصـــر الاسلاميـــة المختلفة على مسرح الاحداث • واصبح لها شبه سيطرة تامة على الخلفاء • ويمكن ان نحدد هذا الدور زمنيا بالفترة الواقعةبين سنتي (٢٣٢ ـ ٦٥٦هـ/٨٤٧ ـ١٢٥٨م ويقسم هذا الدور الى عصور ثلاثة بحسب جنسية العنصر الاسلامي الذي سيطر على الخلفاء •

١ ـ عصر نفوذ الاتراك ويمتد من سنة ٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ/٨٤٧ ـ ٩٤٥ م •

٢ ـ عصر النفوذ البويهي ، ويمتد من سنة ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ/٩٤٥ ـ١٠٥٥ م

٣ ـ عصر نفوذ السلاجقة وهو العصر الذي يقع بين سنتي (٤٤٧ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ ـ ١١٩٣ م)•

وقد اعتاد المؤرخون ان يمدوا هذا العصر حتى سقوط الخلافة العباسية • علما بأن الدولة الخوارزمية قد اطاحت بدولة السلاجقة في سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٣ م وبالتالي فاننا يمكن ان نضيف عصرا رابعا نجعلـه للحديث عن اســتعادة خلفـاء

Scanned with CamScanner

العباسيين للسلطة بين سنتي ٥٩٠ ـ ٦٥٦ هـ/١١٩٣ ـ ١٢٥٨ م • وقد تميز هـذا الدور بالاضافة لما تحدثت عنه عن وضع الخلافة العربية الاسلامية تحت وصايـة العناصر الاسلامية المختلفة بميزات اخرى متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر

ـ ازدياد قوة التيار الانفصالي ، مما ادى الى انقسام الخلافة الاسلامية الى دول كثيرة منفصلة ، وتبع ذلك انقسام الخلافة الاسلامية الى شعب ثلاث : الخلافة العباسية ـ والخلافة الفاطمية ـ والخلافة الاموية •

ـ بروز التيار الشيعي ، وتمكنه من تحقيق جزء من اهدافه • وبروز نزعة الغلوفية

ـ بروز التيار الصوفي لدى فئة كبيرة من السنة •

ـ نضوج الحضارة الاسلامية ، ووصولها الى الذروة في هذه الفترة •

ـ قوة الدولة البيزنطية وتهديدها للخلافة الاسلامية وبروز دور الدول الاسلامية المنفصلة في الدفاع عن الخلافة •

Scanned with CamScanner

الفصل الأول

عصر سيطرة الاتراك

عصر سيطرة الاتراك (٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ ـ ٩٤٥ م)

١ ـ ظهور العنصر التركي في بلاد الخلافة الاسلامية :

كان المأمون اول من اتخذ من الخلفاء ، الاتراك للخدمة . فكان يشتري الغلام من الاتراك بمائة ألف ومائتي ألف[١] وبدأ ظهور الاتراك على مسرح الاحداث منذ ان ولي المعتصم الخلافة ، اذ وجد بأنه لا يستطيع الاعتماد على العرب بسبب عصبيتهم واعتزازهم بدورهم في الاسلام . ولضعف ثقته بهم . كما انه لا يستطيع الاعتماد على العنصر الفارسي لطموحه ومحاولته تحقيق مصلحته القومية ، بالاضافة الى كرهه لهم . فالبرامكة ، وبنو سهل وغيرهم من الذين قادوا الحركات ذات الاهداف المختلفة في العصر العباسي الاول ، كل هؤلاء كان لهم مطامع يريدون تحقيقها على حساب الخلافة العباسية[٢] ، ومن جملة مافعلوه في هذه الفترة انهم حاولوا جعل الخلافة للعباس بن المأمون دون المعتصم ، لتحقيق مطامع قومية على حساب الخلافة العباسية وكانوا يتنافسون مع العرب منذ حدوث الخلاف بين الامين والمأمون ، وقد تكون هذه الامور هي التي دفعت بالمعتصم الى ان يفكر بالاستعانة

---

(١) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٣٨ ظهر و ١٣٩ وجه

(٢) ـ انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٤ .

Scanned with CamScanner

بعنصر جديد • فوجد في العنصر التركي ضالته المنشودة ، فامه ماردة منهم ، بالاضافة لما يتصف به هذا العنصر من القوة والشجاعة ثم انه لايحمل الاهواء السياسية التي للعرب ، ولا المصالح الخاصة والمجد القديم الذي للفرس •

ادخل المعتصم الاتراك بصورة خاصة ضمن جيشه كمحترفين ، كما اتخذ منهم حرسه الخاص ، وبالتالي فانه شعر بانه اصبح يملك جيشا بعيدا عن الصراعات الحزبية والقبلية ومرتبطا بالخليفة مباشرة ، وشعر بأنه ضمن خضوع هذا الجيش تماما لسلطته •

استقدم المعتصم هؤلاء الاتراك الذين استخدمهم في جيشه من بلاد ما وراء النهر ، وخاصة فرغانة واشروسنه ، حيث كانت القبائل التركية المعروفة بالهياطلة • وكانوا على علاقة عداء مع الفرس المجاورين لهم قبل الاسلام وقد تميز هؤلاء الاتراك وهم بدو العجم كما اسماهم الجاحظ بالصفات الاصلية للبدو ، كحب الحرب والفروسية والتعلق بالنظام القبلي •

لم يكن ظهور الاتراك بالخلافة الاسلامية جديدا في عهد المعتصم ، بل وجدوا في عهد من سبقه في بيوت سادات العرب على شكل خدم ، وقد انخرط بعضهم في الجيش العباسي منذ قيام الدعوة العباسية(٣) • ثم تزايد عددهم بما كان يجلب منهم شراء ، أو كأسرى في الحروب التي نشبت بين العرب والترك على الحدود الشرقية • وكان بعضهم يرسل كهدايا الى الخلفاء من قبل ولاتهم في بلاد ما وراء النهر • أو كجزء من خراج خراسان • فقد كان عبد الله بن طاهر يرسل سنويا الى الخلافة الفي غلام تركي كجزء من خراج خراسان(٤) •

وهكذا توارد الاتراك الى بغداد وقارب عددهم سبعين الفا(٥) • وتعلم هؤلاء العربية كما بدأوا باعتناق الاسلام • وقد خصهم المعتصم بالنفوذ ورفع من شأنهم

---

(٣) ـ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٨ .
(٤) ـ شاكر مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

Scanned with CamScanner

فقلدهم قيادة الجيش وجعل لهم مركزا في مجال السياسة والحرب ، وفتح باب التطوع كمرتزقة امامهم ، وحرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ، كما اسقط اسماءهم من الدواوين[٦] وادر عليهم الهبات والارزاق ، واثرهم على الفرس والعرب في كل شيء ولم يكن هؤلاء اصحاب حضارة سابقة فبهرتهم بغداد بحضارتها . فأخذوا يعبثون بالامن في بغداد ، يسيرون في شوارعها راكبين خيولهم دون ان يعبأوا بالمارة فيصدمونهم فيموت منهم جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لضغط خيولهم وتزاحمها[٧] ، دون اكتراث . فتأذى من ذلك أهالي بغداد ، واضطروا الى رفع شكاياتهم الى الخليفة معلنين تأذي الناس من جنده ، وطلبوا منه الخروج بهم خارج بغداد ، والا فانهم سيعلنون الحرب عليه ، وحين سألهم المعتصم عن كيفية حربه ؟ اجابوه : (نحاربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا . ندعو عليك ، فقال المعتصم لاطاقة لي بذلك)[٨] .

وامام شكوى العامة وخوف المعتصم على جنده ، قرر الانتقال الى القاطول ، موقع مدينة سامراء على بعد يزيد عن مائة كيلو متر عن بغداد العاصمة الى الشمال[٩] ، وبنى مدينة جديدة سماها سامراء في سنة ٢٢٠ هـ/٨٣٤ م ، واحضر لها الصناع واهل المهن من سائر الامصار[١٠] . وقد خصص فيها معسكرات لجنده الاتراك بعيدة عن الاسواق ، وليس معهم في قطائعهم أحد من الناس يختلط

---

(٥) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ .

(٦) وقد وصلنا من كتبه التي ارسلت في هذا المجال الى ولاته . ذلك الكتاب الذي كتبه الى كيدر واليه على مصر يامره فيه باسقاط من في الديوان من العرب وقطع اعطياتهم . وكان لذلك اثره في ثورة قبائل لخم وجذام على المعتصم ، انظر أحمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٨ .

(٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٨ .
ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ .

(٨) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ ـ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، جزء ٢ ص ٢٣٣ ـ أحمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦ .

(٩) ـ بين بغداد وتكريت شرقي دجلة ، انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣

(١٠) ـ انظر فيما بعد « بناء سامراء » .

Scanned with CamScanner

بهم[11] . ولكن شغب الجند الاتراك لم ينقطع ، فكانوا كلما وقعت البلاد في ضائقة مالية وتأخر دفع مرتباتهم شغبوا ونهبوا وسلبوا وقتلوا . ثم شرع كبار قادتهم يطالبون بولايات كاملة كاقطاعات يتصرفون بأموالها كيف شاؤوا . ومن هذا القبيل ولاية بكباك التركي على مصر وارساله نائبا عنه مع بقائه في العاصمة . اما صغار القادة فقد اعطوا اقطاعات من اراضي الخراج كي يجبوا ضريبتها لصالحهم او أعطوا جباية ضرائب احدى المناطق عوضا عن الاجور النقدية . وكان هذا بداية للنظام الاقطاعي العسكري[12] .

وتزايد عدد الاتراك الذين اصطفاهم المعتصم ، ودانوا بالاسلام ، واخذوا يتعلمون علوم عصرهم ، ويتغلغلون تدريجيا في وظائف الدولة . ولكنهم لم يحسنوا للخلفاء الذين اعتمدوا عليهم[13] . حتى ان المعتصم نفسه الذي استكثر منهم عبر في اواخر ايامه عن استيائه من الاعتماد عليهم[14] اذ غرهم ما شعروا به من انهم يشكلون قوة الخلافة الرئيسية . كما لم يعمل هؤلاء الاتراك على اكتساب محبة الاهالي بل تملكهم الزهو والغرور بقوتهم . فاستهانوا بحقوق الناس في الولايات الاسلامية ، كما أساؤوا الى العرب . وتذمر المتذمرون ، وقام المبرقع اليماني برفع راية العصيان على خلافة المعتصم ، بعد ان بلغه أن أحد الجنود الاتراك حاول دخول منزله[15] . وكان كره الاتراك عاما بين الطبقات كافة، فقد اخذ المحدثون يعبرون عن استيائهم واستياء العامة بوضع الاحاديث في ذم الترك . فرووا ان النبي (ص) قال : الترك أول من يسلب امتي ما خولوا . وعن ابن عباس انه قال: ليكونن الملك في ولدي حتى يغلب على عزلهم الحمر الوجوه ، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة . وعن ابي هريرة انه قال : لاتقوم الساعة

---

(11) ـ اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٤ ـ ٣١ .

(12) ـ الدوري : نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، بغداد ١٩٧٠ ، ص ١٤ـ١٨ .

(13) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وما بعدها .

(14) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٢٢ .

(15) ـ بيطار : الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ، ص ٩٨ .

Scanned with CamScanner

حتى يجيء قوم عراض الوجوه صغار الاعين ، فطس الانوف ، حتى يربطوا خيولهم بشاطىء دجلة[١٦] .

وصفوة القول : ان سياسة استخدام الاتراك في الجيش وايثارهم بالمناصب العليا في عهد المعتصم ومن جاء بعده ، حملت العرب على الانصراف عن تأييد العباسيين . وكان سكوتهم عن الدفاع عن حقوقهم بسبب عدم توحدهم في وجه الخطر الذي احدق بهم ، نتيجة السياسة التي اتخذها الخلفاء في الاعتماد على العناصر الاسلامية . فحرص كل فرع قبلي في منطقة محددة من العالم الاسلامي على تشكيل كتلة منفصلة ، وعمل لمصلحته دون سواه .

٢ ـ الصراع حول السلطة في عصر النفوذ التركي :

بلغ الاتراك غايتهم منذ عهد الخليفة المعتصم . فقد تمكنوا من السيطرة على شؤون الخلافة الهامة . وكان رئيسهم ايتاخ يتسلم أعلى المناصب ، اليه قيادة الجيش ، والاشراف على دار الخلافة ، وازداد نفوذهم تدريجيا ، واصبحوا مصدر قلق واضطراب . فهم يكرهون الفرس والعرب دون ان يكونوا يدا واحدة . فالدسائس بين قادتهم مستمرة ، وبجهلهم وتفرقهم تحكموا وتدخلوا في تولية وعزل الخلفاء . وقد فسح لهم المجال لاول مرة حين توفي الخليفة الواثق دون ان يعهد لاحد بالخلافة من بعده . فنهضوا بالامر ، واختاروا جعفر بن المعتصم بلقب المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ/٨٤٧ ـ ٨٦١ م) وقد عمل المتوكل على قتل كبيرهم ايتاخ للتخلص من تسلطه . فاكتسب حقد الاتراك عليه ، لانهم خشوا ان يكون مصيرهم كمصير ايتاخ فتآمروا على الخليفة . وشعر المتوكل بما يكنه له هؤلاء فحاول التخلص منهم بنقل حاضرة الخلافة من العراق الى الشام[١٧] . لعله يجد فيها من العنصر العربي ما يغنيه عن العنصر التركي . ولما فعل ثار عليه الاتراك ، كما

---

(١٦) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٣ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧ـ٨ .

(١٧) ـ حسن محمود وابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٣٣١ .

Scanned with CamScanner

لم يسلم من شغب جند الشام عليه مطالبين باعطياتهم فاضطر الى العودة من حيث اتى[١٨] .

اضير الاتراك السوء للمتوكل ، واستغلوا فرصة تأزم الاوضاع بين الخليفة وابنه وولي عهده المنتصر، الذي رأى ان يحتفظ لنفسه بولاية العهد ، بعد أن رأى عزم ابيه على عزله عنها، اثر تحريض وزيره عبيد الله بن خاقان ، ونديمه الفتح بن خاقان فتآمروا على قتل المتوكل . ولما فعلوا بايعوا للمنتصر في سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م بالخلافة .

يعتبر قتل المتوكل اول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين ، فقد خلفاء العباسيين بعدها ماكان لهم من سلطة . واصبحت حياتهم معرضة للخطر على ايدي الاتراك . ولم يكن على الخلفاء الا الاذعان للامر الراهن ، اذا ارادوا الحفاظ على حياتهم والاقتناع بما بقي لهم من سكة وخطبة . الا من استطاع منهم ان يثبت وجوده ومقدرته على التصرف بأمور الدولة بعزم وحزم .

اصبح المنتصر في قبضة الاتراك بسبب ظروف تسلمه العرش . واصبح لايستطيع القيام بعمل دون مشورتهم . فقد لبى طلبهم بخلع اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ـ كان لهما بيعة بولاية العهد بعد اخيهما المنتصر من قبل ابيهما المتوكل ـ خوفا من ان ينتقما من قتلة المتوكل ، فأحضر المنتصر اخويه وطلب منهما خلع انفسهما امام الاتراك موضحا انه لم يفعل هذا رغبة في تولية احد ابنائه ، بل طاعة للاتراك ، وخشية عليهما من القتل . فقال : (اترياني خلعتكما طمعا في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابايع له ؟ ! والله ماطمعت في ذلك ساعة قط . وذا لم يكن

---

(١٨) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ١٠١ ـ ١٠٤ ـ وانظر عن أسباب ترك المتوكل لدمشق ، المسعودي: مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٧٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢١٠ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٩٨ ـ كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

Scanned with CamScanner

في ذلك طمع ، فوالله لان يليها بنو ابي احب الي من ان يليها بنو عمي . ولكن هؤلاء الحوا علي في خلعكما فخفت ان لم افعل ان يعترضكما بعضهم بحديدة فيأتي عليكما) [١٩] .

حرص المنتصر على الرغم من قصر مدة حكمه على توفير اسباب السعادة والرفاهية لشعبه فأحسن الى العلويين ، والغى ماكان قد صدر بحقهم في عهد ابيه . الا ان الاتراك لم يتركوه على الرغم من خضوعه من الوجهة العملية لهم . ولم يكن من عذر لهم في قتله ؛ سوى زلة لسانه وتعييره عما يجيش في صدره تجاههم بقوله : هؤلاء قتلة الخلفاء . فقتلوه بعد حكم لم يدم اكثر من ستة اشهر وعمره ست وعشرون سنة . ويقال بانهم اغروا طبيبه ابن طيفور بذلك ، واعطوه ثلاثين ألف دينار . ففصده بريشة مسمومة في ربيع الثاني سنة (٢٤٨ هـ/٨٦٢ م) .

على اثر مقتل المنتصر برز قادة الاتراك ، امثال بغا الكبير وبغا الصغير واتامش ووصيف ، وقد اجتمع هؤلاء وبايعوا لاحمد بن محمد المعتصم خليفة بلقب المستعين بالله(٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ/٨٦٢ ـ ٨٦٦ م) وغايتهم الاستئثار بالسلطة دونه . وقد قدم لهم المستعين كل مايستطيع من تنازلات[٢٠] ، حتى اصبح أسيرا بين أيديهم ، ولا أدل على وضعه بين يدي الاتراك من وصف احد الشعراء للوضع قائلا :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

ادى ازدياد نفوذ الاتراك في عهد المستعين ، وجشعهم المتنامي للمال ، الى قيام الخليفة بقتل باغر التركي قاتل المتوكل [٢١] . وخوفا من نقمتهم ولشعوره بالمؤامرات تحاك ضده ترك سامراء ، والتجأ الى بغداد في سنة ٢٥١ هـ/٨٦٥ م .

---

(١٩) ـ الطبري : المصدر السابق جزء ٩ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .
(٢٠) ـ انظر هذه التنازلات في الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨٣ .
(٢١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢ .
ـ ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٢ .

Scanned with CamScanner

ولم يرض الاتراك بهذه البادرة ، فلحقوا بالخليفة ، وطالبوه بالعودة الى سامراء ، ولما ابى ويئسوا من عودته ، بايعوا ابن عمه المعتز بالله وانقسم الناس والجند بينهما . ودارت رحى حرب اهلية بين الفريقين (٢٢) . ولما كانت غالبية القوة العسكرية في جانب الاتراك وهم يناصرون المعتز . فقد كان النصر الى جانبهم ، واضطر المستعين الى التنازل عن الخلافة في محرم سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م . ورحل الى واسط . وعلى الرغم من ذلك فقد اوجسوا خيفة من بقائه حيا ، وكتبوا الى احمد بن طولون الذي كان يدبر امور المستعين في واسط . يطلبون قتله مقابل ولاية واسط ، فأبى ، فأرسلوا اليه سعيدا الحاجب حيث قتله (٢٣) .

اختل توازن الخلافة في عهد المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ ـ ٨٦٩ م) من جراء استفحال نفوذ الاتراك ، واختلافهم فيما بينهم . ولم يكن للخلافة الا مسايرتهم حينا ، وتدبير الدسائس والمؤامرات للتخلص من نفوذهم أحيانا اخرى . ولذلك فان الامر لم يرق لهؤلاء الاتراك ، وثاروا ضده ملحين في طلب مرتباتهم وزيادة خمسين ألف دينار ، ولما عجز عن التنفيذ ، اخرجوه عنوة من القصر وانزلوا به اروع ضروب الاهانات حتى اضطروه الى التنازل عن الخلافة . وعملوا على التخلص منه (٢٤) . كما صادروا اموال امه ، وكان لهذه الاعمال كبير الاثر في الهاب قريحة الشعراء فأخذوا ينشدون الشعر يصفون فيه ما اصاب البلاد (٢٥) .

بايع الاتراك اثر ذلك محمد بن الواثق . ولقبوه المهتدي بالله (٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ ـ ٨٧٠ م) ، وكان رجلا عادلا محبا للشعب . على مقدرة ممتازة وكفاية منقطعة النظير . وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول : اني استحي ان

---

(٢٢) ـ عن هذه الحرب الاهلية انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨٣ ـ ٣١٧ .
ـ ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

(٢٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٦ .
ـ ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٦ .

(٢٤) ـ عن طريقة قتله ، انظر ابن الاثير : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٢٥) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٣ .

Scanned with CamScanner

يكون في بني امية مثله ولا يكون مثله في بني العباس . ولما كانت قوة الدولة في عهده بيد الاتراك فانه اراد ان يعيدها للخلفاء ، مستغلا في سبيل ذلك شجاعته وقوته اللتين اشتهر بهما ، بالاضافة الى قوة ايمانه ، وتأييد الشعب له ، وحاول ضرب قادة الاتراك بعضهم بالبعض . الا انه فشل في ذلك واصبح هدفا لهم . وعلى الرغم من ذلك فانه اظهر عدم اهتمامه بتآمرهم عليه . وافهمهم انه واقف لهم بالمرصاد . وانه غير راض عن عدم قيامهم بواجبهم العسكري تجاه البيزنطيين(٢٦).

وقد وقع المهتدى نتيجة صلابته وحزمه ، وتشدده في وجه الاتراك دون ان يملك القوة العسكرية والاقتصادية الى نهوض الاتراك لقتاله والتخلص منه . وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها الخليفة وبلائه الحسن ، فانه لم يستطع ان يحقق نصرا . فقد انضم من معه من الاتراك الى اخوانهم ، فوقع في ايدي أعدائه . وقد عمل هؤلاء على خلعه من الخلافة . وكانت نهايته بعد ذلك بقليل في رجب سنة ٢٥٦ هـ / يونيو حزيران ٨٧٠ م (٢٧) .

بويع على اثر ذلك احمد بن المتوكل ولقب بالمعتمد على الله (٢٥٦ـ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ ـ ٨٩٢ م) فاستدعى اخاه ابا احمد طلحة من مكة ليعاونه في صد خطر الزنج . ثم جعله وليا للعهد بعد ابنه جعفر في سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) . وحجر الموفق على اخيه الخليفة ، ولم يترك له سوى الخطبة والسكة ، والامر والنهي والقول الفصل للموفق . ويبدو أن الموفق كان رجلا حازما ذا مقدرة عسكرية ممتازة ، يتضح ذلك من وصف ابن طباطبا للدولة في عهد المعتمد حيث يقول : كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع . كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأمرة المؤمنين ولاخيه طلحة الامر

---

(٢٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء٧، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٤ .

(٢٧) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٢٨ .

Scanned with CamScanner

والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء، وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته [٢٨] .

لم يكن للاتراك في خلافة المعتمد ماكان لهم في خلافة من سبقه . ويبدو ان ذلك كان لقوة الموفق من جهة ، ولتأثير الحركة التي قام بها المهتدي من جهة أخرى . فقد استعاد العباسيون شيئا من سلطانهم وركن موسى بن بغا [٢٩] الى الهدوء في هذه الفترة . وقد حدث في خلافة المعتمد بعض الاحداث الهامة . منها ثورة الزنج [٣٠] واختفاء الامام الثاني عشر عند طائفة الاثنى عشرية ، ونشاط طائفة الاسماعيلية في أرجاء الوطن العربي الاسلامي [٣١] .

توفي الموفق في حياة اخيه الخليفة في اوائل سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، فاجتمع كبار القواد ، وبايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد بعد المفوض الى الله . ولقبوه بالمعتضد ، فتحولت سلطة ابيه اليه ، وخلف عمه بعد وفاته .

كان المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ/٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) من خيرة خلفاء العباسيين ، عاقلا شهما فاضلا ، ولي الخلافة وهي بحاجة الى رجل قوي السياسة شديد على اهل الفساد . فقام بما يتطلبه منه هذا المركز احسن قيام [٣٢] . فقد وطد الخلافة العباسية ورفع شأنها ، واضعف سلطة الاتراك بقدر مايستطيع . الا انه وعلى الرغم من المجهود الضخم الذي بذله لاعادة سلطة الخلافة العباسية الى سابق عزها ، لم يستطع لتراكم الفساد في الخلافة من عهد من سبقه . ولذلك فان

---

(٢٨) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢٩) ـ درج موسى بن بغا في مراتب الجيش حتى اصبح من اكبر قواده . وقام بدور واسع مع غيره من الاتراك مشتركا في الثورات المتعددة التي قامت في وجه الخلفاء سلبا او ايجابا . فطورا يذب عن عرش الخلافة ، واخر يتآمر مع المتآمرين لشل هذا العرش . وقد استطاع الخليفة المعتمد ان يكست جانبه بمصانعته وزيادة اكرامه . فارسله في سنة ٢٥٩ هـ لقتال صاحب الزنج، وكبح جماح الخارجين على الدولة ، كما ضمه لابنه موسى حين ولاه ولاية المناطق الغربية .

(٣٠) ـ انظر فيا بعد .

(٣١) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣ .

(٣٢) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

Scanned with CamScanner

عددا من الحركات الانفصالية والثورات الاجتماعية ظهرت في عهده . فقد خرج عليه عمر بن الليث الصفار فاستولى على اكثر بلاد العجم ، وقوي نفوذه وعظمت ثروته ، حتى انه كان يقول : لو شئت ان اعقد على نهر بلخ جسرا من ذهب لفعلت (٣٣) . كما ظهر نصر بن احمد الساماني في ماوراء النهر (٣٤) . وظهر ابن حوشب في اليمن لنشر الدعوة للمهدى (٣٥) . وابو عبد الله الشيعي في المغرب (٣٦) . كما ظهر القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط ، وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي (٣٧) .

قام المعتضد بالحد من نشاط هذه الحركات . فأنشده ابن المعتز ملحمة بدأها بذم الاتراك وفسادهم في البلاد ، ثم عدد اعمال المعتضد وما قام به من حروب وما اتى به من اصلاح وهي تعد الى جانب أهميتها الادبية ، وثيقة تاريخية هامة للاحداث في عهد المعتضد (٣٨) .

330 توفي المعتضد بعد أن حكم عشر سنوات ، وترك لابنه وخليفته المكتفي (٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٨ م) مهمة القضاء على بعض الحركات التي لم يمهله القدر بالقضاء عليها . ولم يكن المكتفي اقل من ابيه مقدرة ، الا ان الحركات التي بدأت في عهد اسلافه تمكنت في عهده (٣٩) . فقد اضطر الى قتال القرامطة ، وتسريح الجيوش الكثيرة لايقافهم عن قطع الطرق على الحاج (٤٠) كما عمل على

---

(٣٣) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣٤) ـ ابن الاثير : المصدر الكامل ، جزء ٧ ، ص ٤٥٦ .

(٣٥) ـ القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوىء الشركة التونسية للتوزيع ، ص ٦ ـ ٢٥ .

(٣٦) ـ القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٣٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٣ ـ ٢٧ .

(٣٨) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٣٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٤٨ .

(٤٠) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

Scanned with CamScanner

القضاء على الدولة الطولونيـــة ، واستعاد بذلك السلطة على مصر والشـــام والثغور [٤١] .

سئم الاتراك واصحاب السلطة من اختيار الخلفاء القادرين الاكفاء منذ عهد المهتدى حتى المكتفي اذ لم يترك هؤلاء سلطة للمتنفذين ، وقاموا بامور الخلافـة بانفسهم . فاجتمع اصحاب السلطة بعد وفاة الخليفة المكتفي لاختيار من يرضون عنه . واسفرت اجتماعاتهم ومشاوراتهم عن اختيـار جعفر ابن المعتضد باسـم المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ ـ ٩٣٢ م) ، وعلى الرغم من وجود من هـو اقدر منه . امثال عبد الله بن المعتز [٤٢] وهو كفء واديب . كان المقتدر في الثالثة عشرة من عمره . فترك أمور الخلافة لغيره ، وانشغل عنها باللعب واللهو ، فساءت حالة الخلافة العباسية في عهده . وازداد نفوذ الاتراك وانقسموا في تأييدهـم للمقتدر . وناصر فريق منهم ابن المعتز وتدخـل النساء وافراد الحاشـية في الحكم [٤٣] ، ومن المهم ان نذكر ان انقسام الجنـد على المقتدر كان لاسـباب متعددة : على رأسها مصالح الاتراك المتضاربة ومحاولة كل فئة تأييد من ترى فيه مصلحتها ، وقد ادى ذلك الى حدوث ثورتين ضده ، وازيح المقتدر عن العرش مرتين ، كانت المرة الاولى حين وقف ابن المعتز وانصاره في وجه المقتدر في سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) [٤٤] . اما الثانية فكانت حين بويع القاهر بالله [٤٥] .

واقدر وصف على تصوير وضع المقتدر ماذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف [٤٦] ، حيث قال : (افضت الخلافة اليه وهو صعير غر ترف ، لم يعان الامور ، ولا وقف على احوال الملك ، فكان الامراء والوزراء والكتاب يدبرون

---

(٤١) ـ انظر بيطار : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٩ .

(٤٢) ـ عن الاجتماعات والمشاورات التي جرت لاختيار الخليفة المقتدر ، انظر مسكويه : تجـارب الامم ، جزء ١ ، ص ٣ وما بعدها .

(٤٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٦ ـ و ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٤٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١٤٠ وما بعدها .

(٤٥) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .

(٤٦) ـ ص ٣٢٨ .

Scanned with CamScanner

الامور ، ليس له في ذلك حل ولا عقد ، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة . وغلب على الامر النساء والخدم وغيرهم . فذهب ماكان في خزائن الخلافة من الاموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة . فأداه ذلك الى سفك دمه ، واضطربت الامور بعده . وزال كثير من رسوم الخلافة (٤٧) . وهكذا تلاشت هيبة الخلافة نهائيا في عهد المقتدر بعد ان عمل كل من المهتدي والمعتضد والمكتفي على اعادتها الى سابق عهدها .

ولابد لنا في هذا المجال من ان نذكر كيف كان اصحاب النفوذ في الدولة يرون الحجر على من يرشح للخلافة . لينشأ جاهلا غرا . فينصرف الى لهوه ولذته ، ويترك لهم امور الخلافة ، وسنورد مثالا على هذا ـ على الرغم من كثرة الامثلة والادلة ـ ماذكره الصولي من انه عهد اليه بتربية الراضي بالله واخيه هارون فكان يلقاهما مرتين في الاسبوع ، وقد رآهما فطنين عاقلين . الا انهما خاليان من العلوم . فحبب الصولي العلم اليهما . واشترى لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والاخبار الكثير ، حتى تنافسا في العلم ، وعمل كل واحد منهما خزانة لكتبه ، وقرأ الاشعار والاخبار على الصولي .

وتقدم الاخير في تعليمهما ، فقيل له على لسان اهل القصر (مانريد ان يكون اولادنا ادباء ولا علماء وهذا أبوهما قد رأينا كل مانحب فيه وليس بعالم) (٤٨) .

تولى القاهر بالله (٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ ـ ٩٣٤) عرش الخلافة بعد اخيه المقتدر ، ولم يكن افضل منه . اذ اشتهر بالقسوة وقبح السيرة . كان سفاحا كثير التلون ، مدمنا للخمر . لم تمض على خلافته سنة واحدة حتى شغب عليه الجند ، واتفق بعضهم على خلعه . واكتشف القاهر المؤامرة فابتدرهم قبل ان يبدأوا به . وبعد ان هدأت الاحوال اعطى الخليفة الجند ارزاقهم وقبض على الامور بحزم ،

---

(٤٧) ـ ازداد نفوذ نساء القصر في عهد المقتدر . وكانت السيدة والدة المقتدر تولي وتعزل ، حتى ان الامر تعدى ذلك الى قهرماناتها ، انظر : المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٤٨) ـ الصولي : اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، وهو جزء من كتاب الاوراق ، دار المسيرة بيروت ص ٢٤ ـ ٢٦ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٧ .

Scanned with CamScanner

الا ان المؤامرات لم تنته ، فقد خاف البعض بطش القاهر ،فقبضوا عليه واستحضروا الطبيب بختيشوع بن يحيى ، فسألوه ان يدلهم على من يحسن السمل ـ وكان اول من سمل من الخلفاء ـ فسمل ثم سجن [٤٩] . واستمر في السجن الى ان توفي سنة (٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) في خلافة الطائع لله .

جـ ـ ظهور منصب امرة الامراء واسبابه :

ازداد نفوذ قادة الاتراك في عهد الراضي (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ ـ ٩٤٠ م) وبدأ الصراع الثلاثي بينهم وبين الخليفة والوزير [٥٠] . وبدا عجز الوزراء عن ادارة الدولة نتيجة لهذا التسلط . وامام الاضطرابات في العلاقات بين كبار رجالات الدولة ، ولاستشراء الازمة المالية في عهد الخليفة الراضي ، رأى الراضي ان يستميل محمد بن رائق اليه ويسلمه صلاحيات الوزير ، وقائد الجيش معا . اى ان يكلفه بكل المهام الادارية والعسكرية . ويخطب له على جميع المنابر بعد اسم الخليفة [٥١] ، ويعطى لقب امير الامراء .

كان محمد بن رائق ـ قبل ان يستدعيه الخليفة ـ يلي واسط والبصرة . فتولى منصب أمير الامراء سنة (٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م) واصبح هذا المنصب من المناصب التي يتنافس عليها الاتراك ، وطغى صاحبه على الخليفة . وقال ابن طباطبا [٥٢] متحدثا عن وضع الخليفة والوزير مع امير الامراء ابن رائق . [illegible] ابن رائق امير الامراء بالامور ، وولى النظار والعمال ورفعت المطالعات اليه ، ورد الحكم في جميع الامور الى نظره . ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير ، ومن تلك الايام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت

---

(٤٩) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٦ .

(٥٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ وما بعدها .

(٥١) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، وقد اصبحت الوزارة اسمية ، والوزير يملك ولا يحكم .

(٥٢) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٣٨٢ .

Scanned with CamScanner

الامور منها ، واستولى الاعاجم والامراء وارباب السيوف على الدولة ، وجبوا الاموال ، وكفوا يد الخليفة وقرروا له شيئا يسيرا .) حتى عجز عن دفع ارزاق الجند والحصول على مايكفي نفقاته .

اصبح منصب امرة الامراء الذي اوجد ليستعين الخليفة بصاحبه على ادارة شؤون الدولة مجالا للمنافسة . وادى الى بلبلة الاوضاع عوضا عن تهدئتها ، فقد نافس بجكم ــ احد قواد ابن رائق ــ سيده واوقع به الهزيمة ودخل بغداد وحل مكانه في امرة الامراء (٥٣) .

تجلى الاضطراب في العراق في ولاية بجكم لمحاولة ابن رائق استعادة منصبه. وتوسط الخليفة بين المتنافسين ، وقرر أن يبقى بجكم معه كأمير للامراء ، وان يخرج ابن رائق الى الشام واليا عليها ، وبقي بجكم في أمرة الامراء حتى توفي الخليفة الراضي بالله (٥٤) .

وقد اورد ابن الاثير (٥٥) فقرة تدل على مبلغ تسلط رجال الاطراف على اراضي الخلافة في عهد الراضي فقال : ولم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم . واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق . وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياس ، والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه ويد وشمكير اخي مرداويج يتنازعان عليها ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج ، والمغرب وافريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي ... والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي .

---

(٥٣) ــ الصولي : المصدر السابق ، من ص ١٠١ ــ ١٠٧ .
(٥٤) ــ الصولي : المصدر السابق ، من ص ١٠٩ وما بعدها .
(٥٥) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤ .

Scanned with CamScanner

توفي الراضي سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م فخلفه ابراهيم بن المقتدر بلقب المتقي لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ ـ ٩٤٤ م) وفي عهده قتل امير الامراء بجكم على يد بعض الاكراد فعاد ابن رائق الى بغداد . وتسلم منصب أمرة الامراء (٥٦) .

لم تصف الامور لابن رائق هذه المرة ايضا فقد نافسه ابو عبد الله البريدي، وهزمه في معركة عسكرية . ونهب البريديون دار الخلافة ، وفعلوا مالم يفعله احد قبلهم (٥٧) . ففر الخليفة مع ابنه ومحمد بن رائق الى الموصل ، طالبين مساعدة الحسن بن عبد الله بن حمدان . ويبدو أن ابن حمدان طمع في منصب امرة الامراء، فبادر الى مساعدة الخليفة وارسل معه اخاه أبا الحسين علي بن عبد الله ، واغتال محمد بن رائق مبررا فعلته للخليفة بتآمر ابن رائق عليه (٥٨) .

أصبحت امرة الامراء بيد العرب بشخص ناصر الدولة بن حمدان حسب اللقب الجديد الذي حصل عليه من المتقي لله ، كما اطلق على اخيه لقب سيف الدولة (٥٩) ولم يعمل ناصر الدولة بعد تقلده منصب امرة الامراء على رعاية حقوق الخليفة ، بل استأثر بالسلطة دونه . وضيق عليه وعلى اهل داره في النفقات، وانتزع ضياعه وضياع والدته ، ثم لم يلبث ان ترك بغداد وعاد الى الموصل (٦٠) .

أصبح منصب امرة الامراء فارغا برحيل ناصر الدولة . وكان الخليفة بحاجة الى الحماية خشية من البريديين . ولذلك فانه استنجد بتوزون ومهد له السبيل لدخول بغداد في رمضان سنة (٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) وخلع عليه واعطاه امرة الامراء (٦١) . ولم يكن توزون اكثر اخلاصا للخليفة . بل ان اعماله دعت الخليفة

---

(٥٦) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ١٩٧ وص ٢٠٦ وص ٢٢٥ وما بعدها ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١١٤ .

(٥٧) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٥٨) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ وما بعدها ـ مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٢٧ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٨٢ .

(٥٩) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٦٠) ـ الصولي : اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ٢٣٥ وص ٢٤١ .

(٦١) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ومابعدها .

Scanned with CamScanner

الى الالتجاء الى ابن حمدان ثانية . ومن عاصمة الحمدانيين استنجد بمحمد بن طغج الاخشيد ، كما سعى الى مصالحة توزون . وذلك لان ابن حمدان لم يحسن استقبال الخليفة ، وبدا منه الملل والضجر ، بالاضافة الى أنه لم يستطع التغلب على توزون (٦٢) .

رحل الخليفة الى بغداد برفقة توزون بعد أن أمنه في محرم سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ولكنه مالبث ان قبض عليه وسلمه وسجنه . وبايع ابن المكتفي بلقب المستكفي بالله (٣٣٣ ـ ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ ـ ٩٤٥ م) (٦٣) ، وقد ساعده على القيام بفعله الخلاف والتنافس والتآمر بين افراد البيت العباسي بغية الوصول الى السلطة ، بالاضافة الى دسائس النساء ، وتفضيل الاتراك لمرشح دون اخر لتحقيق مصالحهم (٦٤) .

بقي توزون اميرا للامراء في عهد المستكفي المغلوب على أمره (٦٥) ، وانتقلت امرة الامراء بعد وفاة توزون سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م الى كاتبه ابن شيرزاد . ولم يكن هذا افضل من سابقه . فقد لجأ الى مصادرة أموال الناس ليزيد في أرزاق الجند الاتراك والديلم . كما فرض الاموال على الكتاب والعمال والتجار وغيرهم من افراد الشعب . وازدادت الضرائب في أيامه بشكل كبير حتى اضطر التجار الى الهرب من بغداد (٦٦) . واستاء كثير من قواد بغداد فدعوا أحمد بن بويه للمسير اليهم . فرحل من الاهواز قاصدا بغداد في / ١١ / جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ / ٨ يناير كانون الثاني ٩٤٦ م حيث قابل الخليفة واحتفى به ، وخلع عليه ، ومنحه

---

(٦٢) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ومابعدها ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٢ .

(٦٣) ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٦٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٥ .

(٦٥) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

(٦٦) ـ مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٨٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

Scanned with CamScanner

امرة الامراء ولقبه معز الدولة (٦٧) . وينتهي بهذا عصر نفوذ قادة الاتراك ليبدأ عصر جديد هو عصر سيطرة البويهيين .

ومن ابرز صفات عصر نفوذ الاتراك ازدياد شوكة القادة من الاتراك . وضعف شأن الوزراء في هذا الدور . فقد سحبت ضياعهم وفرض لهم رزق ثابت قدر بخمسة آلاف دينار (٦٨) في الشهر كما انتقصت اختصاصاتهم ، وقطن الوزير منذ سنة (٣١٢ هـ / ٩٣٣ م) في دار الحاجب بعد ان كان يسكن في دار خاصة بقصر الخلافة (٦٩) وكان بقاء الوزير في منصبه مرهونا ببراعته في التوفيق بين مصالحه ومصالح انصاره ومؤيديه من جهة ، ومصالح الخليفة من جهة ثانية . مصالحه ومصالح انصاره ومؤيديه من جهة ، ومصالح الخليفة من جهة ثانية ، كانت تلعب دورها في اعتماد الوزير وخلعه .

أصبح منصب الوزارة (٧٠) في هذا العصر أشبه بمنصب وراثي فانحصرت الوزارة في أسر معينة كآل خاقان وآل الفرات وآل وهب (٧١) . كما كان الخلفاء يختارون وزراءهم من المثقفين ثقافة ادبية ، ويأبون اسنادها الى العلماء واصحاب الطيالس ، كما اتضح في هذا العهد عدم اتصاف الوزراء بالصفة الحربية وانحصار قيادة الجيش بيد القادة من الاتراك .

ـ كان عصر نفوذ قادة الاتراك عهدا سادته الفوضى وابرز مثال على ذلك مايروى من أنه حين توجه ابن رائق الى الشام بعد ان تقلد ولايتها من الخليفة ، جاء رسول الاخشيد الى دار الخلافة يستعلم الامر ، لان الاخشيد كان واليا عليها معترفا به من قبل الخلافة . وكان مجلس الخليفة يضم بحكم امير الامراء ، فأنصت

---

(٦٧) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٩ .

(٦٨) ـ وصل هذا الرزق أحيانا الى سبعة آلاف دينار (انظر محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة للاسلامية ، ص ٣٧) .

(٦٩) ـ انظر محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٧٠) ـ انظر عن ذلك الوزارة في عهد الخليفة المقتدر في كتاب مسكويه : تجارب الامم ، جزء ١ من ص ٣ ـ ٢٠٠ .

Scanned with CamScanner

الخليفة ولم يتفوه بشيء ، بينما اجاب امير الامراء ، ولعل جوابه يعبر عن الوضع في بلدان الخلافة في تلك الفترة ، ويوضح عجز الخليفة عن حماية أي من الطرفين • فقد قال بجكم : (من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له) • وليس هذا الامر غريبا على الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ونحن نعلم أن أمير الامراء كان لـه الامر والنهي (٧٢) •

ـ مرت الخلافة العباسية خلال هذا العصر بأزمات مالية خانقه ناجمة عن قلة الموارد من الجبايات لانفصال الاطراف ، وسوء المواسم الزراعية ، وكساد التجارة بسبب كثرة الفتن والثورات كثورتي الزنج والقرامطة • وفوق ذلك فقد تزايدت نفقات البلاط والخليفة ، وقد ادى ذلك الى عقد قروض مع التجار الرأسماليين ، وتضمين الولايات لكبار التجار ، او لبعض الاسر الغنية ، وقد قدم بعض الوزراء آراء اقتصادية للقضاء على الازمـات المالية • فقـد رأى علي بن عيسى تخفيف النفقات لاصلاح مالية الدولة ، ولكنه حين بدأ بتنفيذها شعر بأنه اصبح بعيدا عن قلوب رجال القصر والحاشية وغيرهم وتعرض لسوء ادبهم فاستعفى (٧٣) •

ـ وعلى الرغم من ضعف الخلافة العباسية بصورة عامة في هذا العصر فقد تقدم العلم والادب عما كانا عليه من قبل • ذلك ان حركة الترجمة التي بدأت في الدور الاول ونقلت ذخائر الامم المختلفة ، قد نضجت • وأخذ المسلمون يتفهمون هذه المؤلفات ويشرحونها ، يهضمها البعض ، يبتكر فيها ويزيد عليها •

وفي عصر نفوذ الاتراك ، بدأ استقلال بعض الاقطار الاسـلامية عن مركز الخلافة واصبح مركز كل دولة مكانا هاما للعلم والادب • فقد اخذ امراء هـذه الاقطار يكرمون العلماء والادباء ليستقطبوا اليهم هذه الفئة ويفاخروا أمـراء

---

(٧١) ـ انظر ابن طباطبا : المصدر السـابق ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٧ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ •

(٧٢) ـ ابن العميد : تاريخ المسلمين ، طبعة ليدن ١٠٣٤ ، ص ٢٠٣ •

(٧٣) ـ انظر مسكويه : تجارب الامم ، جزء ١ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ وانظر الصابىء : الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ـ حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧ ـ ٣٣٤ ، ص ١١٦ ـ ١١٧ •

Scanned with CamScanner

الاقطار الاخرى في الثروة العلمية والادبية • كما يتفاخرون بعظمة الجند وعظمة المباني ، وهكذا انتشرت وتعددت مراكز العلم والادب ، وبدأت المنافسات والمفاخرات والمساجلات بين علماء قطر وآخر • ولم تكن هذه الظاهرة تقتصر على الامراء الذين يحسنون العربية • بل تعدى ذلك الى امراء الاتراك الذين لايجيدونها • ومما يذكر في هذا المجال : ان بجكم التركي وكان بواسط استدعى الصولي اليه من المسجد • فتهكم البعض عليه بسبب ذلك لانه لايجيد العربية • فدافع عن نفسه قائلا : انا انسان ، وان كنت لا احسن العلوم والآداب ، احب ان لايكون في الارض اديب ولا عالم ولا رأس في صناعة ، الا كان في جنبي وتحت اصطناعي ، وبين يدي لايفارقني (٧٤) •

يتضح من هذا أنه ليس من الضروري ان تترافق سوء الحالة السياسية مع انحطاط العلم والادب • فقد يحمل الظلم كثيرا من عظماء الرجال وذوى العقول الراجحة أن يفروا من العمل السياسي الى العمل العلمي ، لانهم يجدون العمل السياسي يعرضهم لمصادرة اموالهم ، واحيانا الى ازهاق ارواحهم • على حين ان العمل العلمي يحيطهم بجو خاص هادىء • ويبدو أن الخلفاء والامراء جعلوا للعلماء حرمة ، ولم يتعرضوا لهم طالما لم يتعرض هؤلاء للسياسة • مما ادى الى قيامهم بأبحاثهم العلمية في هدوء وطمأنينة (٧٥) •

ـ كان عصر سيطرة الاتراك بداية ظهور نظام الاقطاع العسكري • فقد اقطع هؤلاء اكثر أعمال السواد ، فتمسك الرابحون منهم بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ورد الخاسرون اقطاعاتهم فعوضوا عنها • فصار القانون المتبع أن يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ، ويعتاضوا عنها من حيث يختارون • واقتصر المقطعون على تدبير نواحيهم بغلمانهم ووكلائهم • وبذلك كانت الاراضي العامرة تتحول الى خراب وأدى ذلك الى فساد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية (٧٦) •

---

(٧٤) ـ الصولي : اخبار الراضي والمتقي ، ص ١٩٥ .

(٧٥) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٦ .

(٧٦) ـ مسكويه : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ .

Scanned with CamScanner